إسهامات الفقه الاسلامي في تطوير قواعد القانون الدولي الانساني

محمد حمام
أستاذمحاضر أ
جامعةزيان عاشور بالجلفة

الملخص: تتناول المداخلة التعريف باسهامات فقيه تناساه البحث العلمي وهو العلامة (الشيخ مسعودي اعطية من مصطفى الحسيني) وهو الذي اثرى المنظومة الفقهية بأرائه الفقهية التي أغنى بها الميدان الفقهي في الثمانينيات من خلال مزاولته لمهنة الإمامة، ولما تركه من أحكام فقهية أفاد بها خلق كبيروجعل من العلماء الارض سقرون له بالعبقرية الفريدة من نوعها في مجال الفتوى والتصوف.

Abstract

Nous tennons a intrvenir sur un aspet tres important relative a des tentatives religieuse emanant d une plate forme etonante dans l esprit humaines absorbee par les principes fondamontaux de leslam a lepoque de deux decenee passee.invantes par un chikh celbre) si attia masoudi ben mustapha el houssinie)

الكلمات المفتاحية : الحكم الصوفية، الفقه..القواعد الشرعية،الفقه الدولي..

مقدمة:

إن صناعة الحضارة وهندسة السلام مع الاخر،أعطي لنخبة قيظهم الله تعالى بجملة من المعارف «المادية والمعنوية» وحتى الصوفية»،ولا ربما نتعجب .....

عندما يكون هناك «رجل» من بين الألاف من الفقهاء الذين جرت عليهم التسمية (تحت درجة فقيه) ،فإن الكثير منهم وكثير جدا» من يعيشون في مجتمعات لا تعترف بهم وتحط من شانهم» إلا لانهم «ينتمون إليهم» ويستخفون بهم .

وقد حصل هذا الأمر مع الكثير منهم في العهود الغابرة،لقي أعرابي سيدنا «ابن العباس «وهو فتى فقال له رافقني الى الشيخ لعلنا ننتفع منه، فعايره قائلا أوتضن انه يحتاجك لناس، «فطفق زمنا « وأصبحت جموع الدنيا تكتظ على مجالس إبن العباس ومرذلك الإعرابي على مجلسه ، فقال له إني أخطأت ، ولازال كذلك في بلادنا بالجزائر، «علماء» رحلوا في صمت وإن نذكرهم فلربما ننسى غيرهم وهم كثروعلى سبيل الحصر ناتي ببعض الاسماء التى تدخل في هذا الموضوع منهم ..الشيخ بن حلوش،ابوبكر مصطفى بن حمون،الشيخ محمدالمنصوري الغسيري،الشيخ محمد العيد حم علي، الشيخ محمد العابد الجيلا لي الشيخ السعيد الزموشي، الشيخ عبدالعالي الاخضري، الشيخ المولود الحافظي، والشيخ محمد بن عبدالكريم الديسي، والشيخ سي عبدالقادر طاهري، والشيخ سي عبدالقادر الشطي.

إن عملية المسح التى مكنتنا، اثناء التعرض الى تفاصيل حياتهم، لم نجد فيها البحث عن شهرة او الحصول على المال ، وانما كانوا يهدفون في تسابق الى إفهام الناس (الاخر) بدينهم وتفاصيل حياتهم بما يرضي الله ، دون مقابل ، يدفعهم بذلك وازع العلم (والطمع في وراثة الانبياء) طبقا لقوله تعالى .

من جهة صنع الحضارة،(فان إشكاليتها) تتعلق بالمشاركة في اعطاء الناس تفاصيل لتنظيم حياتهم ، فهم لم يتطلعوا للسيطرة على العالم بل كانوا يريدون وجهة العالم الاسلامي(رغم ان هذا المصطلح ظهر حديثا في القرن التاسع عشر كبديل لسياق ثاني عرف في مابعد ...

ليأخذ به الفقه الدولي بنصوص تنظيمية قائمة قائمة على اساس (التكتل الدولي)، ان الشيوخ العلماء سعوا الى تعليم وافهام الأخر الجاهل بفكرة الوجهة الاسلامية الحقيقية التي أصبحت «تعتم» و»تصرف الاموال الباهضة «لتركها مقتمة..بل وصار تجزيؤها من بين دلالات «الترقي في الوضائف «والتقرب الى القرار الدولي، وربما يستوقف القاري هذا الاشكال الجانبي فاننا نقول ان وجهة العالم الاسلامي مقسمة على مايلي :

- دولة الخلافة من الشرق الى الغرب ، وهو مفهوم لم يتناساه العلماء والفقهاء والشيوخ لانه متجذر في الفكرية الاسلامية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام الى عهد الخلافة العثمانية ..
- دولة الهوية والاتحاد والتاريخ المشترك والرسول الواحد (اخر الانبياء أعتقادا جازما)
- دولة محاطة بالمحاولات التغريبية، لقمع الثقافة الغربية عن المعتقد الاسلامي .

ودليل العمل ومنهاج التغيير.(هو العودة الى أدوات الماضي (مخطوطات العلماء+افكارهم،لتعين وجهتنا الى المستقبل).

الجسم:

إن الشيخ المفتي (القطب الرباني العارف بالله) إنما يتطلع في «علنه وسره» الى نشر العقيدة ليس بمعنى النشر على طريق الفتح وإنما تبين عناصر العقيدة ،بما يلائم الزمن الذي يعيش فيه المسلم وهو بخلاف عما «يحيكه اعدائهم» بانهم جاؤوا بصيغة الفتح الاسلامي،وهو مأدى الى ظهور صدمة الغرب(الذي لم يتفهم على الاطلاق)أن الله مكن لدينه، وهو القائل(انا انزلنا الذكر وانا له لحافظون)..وماتبقى الان هو كيف يصل تعاليم الدين المعلومة الى انجاد الناس الذين تسبقهم الحضارة(التحضر والعصرنة) بالمنظور الغربي (والتعايش بما يرضي الله لاهل العصر الحديث)

فالوجهة المقصودة هي وجهتنا الى الماضي ليكون مستقبلا مشرقا، وهي وجهتنا الى المستقبل ليكون مجدا مستعادا،

يمثل التراث العربي الإسلامي مرجعية تطرح القضايا المصيرية للإنسان والمجتمع العربيين المعاصرين بمعزل عنه.. ولها وقعها وصداها وجذورها في الأصول الإسلامية التي أنشأتها الحضارة الإسلامية زمن ازدهارها وحتى زمن انحدارها. ولهذا كان من الضروري ان يتأسس الفكر المرجعي (الفقه)على جذور القرآن والسنة والمدونة الفقهية والأصولية والكلامية أو علم التفسير.

سوف نذكر في هذا الاطار المرجعي لمساهمة حثيثة لاحد شيوخ الفكر الاسلامي المعاصر ورائد من رواد الاصلاح في الجزائر وهو» العلامة الفهامة الشيخ سي عطية مسعودي بن مصطفى الحسيني»

حاولنا اقحام مرجعيته الفكرية ضمن محور صناعة الحضارة وهندسة السلام مع الاخر انطلاقا من مفاهيم الحضارة الحديثة

ماهي المبررات التى تقتضيها المنهجية العلمية في الاختيار لموضوع (الدراسة)، لاشك ان الشيخ سي اعطية شيخ بالفطرة لكونه شرب من منابع دينية صوفية كانت معروفة بمنطقة الجلفة وحتى بالجزائر العاصمة والعالم العربي وهي كلها عوامل ساعدت على ظهور هذا» المرجع الفقهي» الذي كرس حياته من أجل ترسيخ هندسة السلم مع الاخر.ولكي يفهم المجدون حقيقة هذا الاختيارنذكر المعطيات القيمية التى ساهمت في بلورة مرجعية الشيخ سي أعطية مسعودي .

نذكر منها:

-. الكتابات الصوفية

شهدت محيط الشيخ ظهورر(ثقافة الولاء) لرجال الدين والعلماء بتوفيرالعناية للمرابطين والتكفل بهم «ماديا ومعنويا»،أنتج الجزائريون في (إيالة) الجزائرالمستقلة «مخطوطات دينية راقية» خاصة من الجزائريين الذين هاجروا إلى المشرق العربي،»كان قبلة لكل العرب والمسلمين» إذ شاع أسلوب الكتابة بكثرة في وصف «مكة والمدينة» وسفريات العلم. وبتحكيم النظرة النقدية حول تلك «الكتابات» وجدنا أنها كانت تفتقد الى وحدة الأسلوب ووحدة التوجبة،وعلى العموم فإن «المادة الإعلامية الدينية «كانت حاضرة بشدة لكنها لم تجد سبيلها «للنشر» بسبب الإظطهاد الإستعماري منها على سبيل المثال: ‹ مناظرات دارت بين الشيخين محمد الحنفي وأحمد قدورة المالكي›(إقامه الزوجين عندأهلهما).و كثرة العلماء الناقلون، إنتقادات يحي الشاوي لأهل عصره ، فتاوى الشيخ علي المرواني ،الشاذة بالإظافة إلى ظهور فكر الخوارج على لسان محمد البوزيدي وهو من تلاميذ محمد التواتي،و ذيوع ثقافة الولاء والشذوذ ،بالاضافة ظهور كتاب «السعي المحمود في نظام الجنود لإبن العنابي» وسواد رياضة الألغازوحل المسائل الفقهية والبوقالات وظهورثقافة القهوة والدخان وموقف الشرع منها ،حللت على أنها تساعد على الشفاء من آلام الشقيقة وتساعد على طول قراءة القرآن وقيام الليل وحرموا شرابها إن هذه الظروف جعلت المشايخ وأصحاب الأحوال يلجؤون الى الصحاري لكتابة علومهم بعيدا عن الكشف والتربص وذهب الكثير منهم مما قيل لنا في الصحراء إلى دفن مخطوطاتهم في أعماق الرمال.....

- الصحافة المكتوبة والكتابات الدينية : كان المجتمع العربي على عهد قريب من «إختراع الطباعة» حيث شجع ذلك على إنتشار الصحف شهدت الجرائرعلى سبيل المثال تطورا مهما للغاية فمن (ثلاثون)جريدة عام 1871 وصل عددها الى (إثنين وتسعين)جريدة عام 1890 ثم (134) عام 1896م والاسباب تعود إلى العوامل التالية :

- تحصل الأوربيون على حقوق وحريات عامة موسعة بعد إعلان الجمهورية الثالثة وإشتداد المنافسة بين المعمرين والأوروبين النازحين، و بعد سبعة عشر سنة حاول الجزائريون تأسيس جريدة المبشرسنة 1848م أعتبر هذا التاريخ أول «تأريخ» عرف من خلاله الجزائريون الصحافة في تلك الفترة كتب الكثيرمنهم في الصحف لكنهم لم يضعوا أسماؤهم كاملة، ولم يظهر إسما واحدا الى غاية سنة1852 في إحتفالات العرش في فرنسا (بمناسبة تنصيب نابليون الثالث إمبراطورا على فرنسا)، دعي كامل أعيان البلاد للمشاركة منهم» سليمان بن الصيام المليانى «الذي ذهب إلى باريس وتحت إلحاح من أصدقائه طلبوا منه وصف رحلته فكان أول إستطلاع وصف رحلته إلى فرنسا، إستعمل فيه فنيات التحرير الصحفي،والصحفي الثاني هو محمد السعيد علي الشريف البجاوي بلغت مقالاته سبعة عشر،كان من بين أعضاء الوفد الذي شارك في احتفالات نابليون 1852 ، إتصفت

مقالاته بإستعمال الأسلوب الأدبي وظلت صحيفة المبشرتقتبس من مقالاته تحت عنوان «من كلام الأديب محمد السعيد بن الشريف» والصحفي الثالث كان هو أحمد البدوي كاتب سرالأمير، قاوم الفرنسيون مع الطيب بن سالم .وكان سكرتيرتحرير جريدة المبشر العربية التي أصدرها الفرنسيون وبعد ست سنوات من دخول الفرنسيين إلى الجزائرإتصل بالأميرمباشرة بعد نقض إتفاقية التافنه إلتحق بالمقاومين في منطقة القليعة بخليفة الأميرالشاب محمد بن علال ،وأظهر تفوقا عينه سكرتيرا بجانبه ،ولما كان نشاطه ديناميكيا طلبه الخليفة سي الطيب خليفة منطقة القبائل لكي يقيم معه في جرجرة ولما إعتزل سي الطيب بن سالم المقاومة رجع الشاب أحمدالبدوي إلى أهله في القليعة حينها سمع به الجنرال «دومالي» إستدعاه وبعد المقابلة أخذه الى مكتب بيجو حيث أعجب به ووظفه الى جانب سكرتيره الخاص ليون روش ،كان العدو الفرنسي يقحمه أثناء غزواتهم كحملات فليته إيزلي، وبابور مع راندون عام 1853 ،ونظرا لمقدرته في الصحافة نقل إلى ديوان الصحافة بدلا من الترجمة وكان ذلك بعد ما أسست ء المبشر ء لإدخال حضارة الأوربيين الى عقول الأهالي، كما كانوا يزعمون،يقول الزبير سيف الإسلام بأن أحمد البدوي هوأول صحفي عمل بالمبشر تحولت جريدة ء المبشر ء الى صحيفة بمعنى الكلمة ء 1850 – 1878 ء إشتغل فيها الكثير ،وتنوعت مواضيعها، ترشد الناس وتقدم الوعظ والإرشاد، نشرت الدراسات العلمية والأخباروالمقالات منها كتاب رفاعة الطهطاوي ،ومنشورات خاصة بالشعروالألغازوأحداث مصروالعالم العربي وكليلة ودمنة وكتاب مروج الذهب ونقل الحدث عن الهند ومن الأقلام التي كتبت ، فيها ابن السادات والحسن بن بريهمات وأحمد بالفكون .

عرفت الجزائرعلماء ذاع صيتهم في مجال الفتوى لكنهم لم ينتبهوا للعمل في الصحافة ،بل كانت كتاباتهم بمثابة صحافة، إن الكتابة الصحفية قبل الإحتلال لايمكن التأريخ لها بسنة معينة ولا الجزم بوجود أقلام إتخذت من الكتابة الصحفية وسيلة لعيشها كما أنه لايمكن أن نؤرخ لوجود مراسلين صحفيين لصحف مشرقية او حتى فرنسية ، كما لايمكن أن ننكرجود كتاب ساهموا بمقالات كثيرة في صحف مصرية (الأقلام المصرية) التي كانت موالية للأتراك ولا تنكرالمصادر بروز كتاب رغم وجود وضع ثقافي متقدم للغاية ، تحدث الرحالة الفرنسي «dubardi» عن وجود ثلاث جامعات في الجزائر لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائروحدها ، لم تكن الجامعات على غرارالأزهرأوالزيتونة لكن كانت هناك دروس جوامعها كثيرة تضاهي مايقدم في الأزهركدروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة وسعيد المقري بتلمسان وابن رأس بمعسكروعمر الوزان وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي وعبدالقادرراشدي بقسنطينة كانت شهيرة جدا لجهودهم وليست بدافع تجاري سلطوي ، كما انتشرت في تلمسان 50 مدرسة والجزائر 100 مدرسة وكانت أقل مدرسة وأصغرها يطلق عليها المسيد وهو إسم محرف من كلمة مسجد وفي البادية يسمى «الشريعة «.،كانت الكتب تنتج محليا ليس في مطابع لإفتقارالجزائرإليها بل عن طريق النسخ باليد وقد إشتهرت الجزائربنسخ الكتب والتأليف بتلمسان وبجاية وقسنطينة قد وصف الرحالة المغربي «التمغروطي» بأن كتب الجزائرلا تضاهيها كتب إفريقية وقد كتب أشهرمؤرخي تلك الفترة ء «البارون ديسلان ء عن عظمة وجمال وزخرفة كتب العاصمة وفي تلك الأثناء ذاع صيت الخطاط «إبن مقلة»حتى صاريضرب المثل ب»رب المقلة».

إن دراسة الأعلام الديني من خلال الأنواع الصحفية لم يكن واردا بالنظرالذي عرفته الصحافة مع القرن 19 عشر فقد كان التعليق الصحفي هوالسائد في بداية الصحافة ء «جريدة الجزائرالفرنسية ء أسسها صحافي أوربي يدعى TH ENIK ظهرت 5 مرات

في شكل كبير،صدرت أول جريدة بالعربية سنة 1904 ثم سرعان ما أعاد نشرها «محمد كحول» بأقلام جزائرية ،ثم جاءت صحيفة الجزائرللفنان «عمرراسم» سنة 1908 وبوهران جريدة الحق لعبت دورا كبيرا في اثارة المواضيع الهامة جدا وفي سنة 12 أصدر»عمربن قدور»جريدة الفاروق التي دعمتها أقلام جزائرية وتونسية، وأعاد «عمرراسم» سنة 1912 نشرجريدة ذو الفقارأعتبرت أول جريدة عربية أكتشفت الخطر الصهيوني،وفي سنة 1915 ظهرت جريدة أخبارالحرب معلنة عن تصورات «المشكل الأروبي « كما يمكن ان نؤرخ للصحافة الاسلامية منذ سنة 1914-1912 حيث ظهر للوجود» صحيفتين،»المغرب جريدة عربية نصف أسبوعية أصدرها» فونتانا»، بالجزائر سنة1903 الى غاية سنة 1913،المصالح جريدة فرنسية عربية أصدرها»العربي فخار» ومماياحظ أن الصحافة الاسلامية كانت منعدمة تماما، رغم وجود علماء مسلمين قبل بداية الحرب وبعدها مباشرة ظهرت صحف فرنسية اللسان إسلامية المبدأ،منها جرائد الإسلام، ذوالفقار، الحق والفاروق، ومن الصحفيين الكبار،الذين ظهروا في تلك الفترة «محمد بن يلس عبدالعزي الزناقي «»الحسين بن الطاهرالفرجيوي»،»الحاج محمد بن كحول»،»عبدالله القلعي» فجرت تلك الاوضاع الثقافية والإعلامية قريحة العلم لدى الشيخ فكانت بمثابة الينبوع الذي اخذ منه الشيخ سي عطية منابع العلم والمعرفة.

ان فكروثقافة الشيخ سي أعطية كما سيظهر الأن نشات داخل حقل الثقافة الإسلامية العربية، التي عرفت مفاهيم الإصلاح والتجديد والإتباع والإبتداع والسلف والإجتهاد والتقليد والإحياء كما اشرنا اليه في النقطة السابقة.

لما تظافرت مجموعة عوامل كانت رادعة للوسط الاجتماعي في الجلفة ومحيطها كان لابد من اخال تقويم واضلاح امرين ارادهما الشيخ سي اعطية.وهما

- مساعدة المؤمنين المسلمين على فهم امور دينهم لانها غضفت بهم بعض الماديات التى انستهم الكثير من امور الشرع(ومثل هذا التفكيرهورمزاساسي لتقديم مساهمة في هندسة السلام مع الاخر
- تبسيط السلوكات الدينية من خلال اشعاره الدينية للناس(وهذه مساهمة لتقوية اللغة واثراء منظومة الدين عند المؤمن البسيط.

لنتطرق سلوك الهندسة الروحية لسلوك الاخروتريضها لتتلائم مع مقتضيات الشرع:

يستطلع الشيخ « سي عطية «في مبتدأ كلامه وهويوصي أحبابه وأقرانه من رافقوا جولاته العلمية ،وتابعوا حلاقاته النورانية الدينية بتوجيه الطلب(الدعاء)الى الله مباشرة مصاحبااياه بجملة من العروض الموحية إلى قوة بصيرته ونقاء سريرته ،وهو يتوجه الى الله سبحانه وتعالى ،إن الدورة الدعوية عند الشيخ «سي عطية «هي دورة إعتراف بالذنوب قبل التوجه الى المولى عزوجل بالدعاء،وتدخل في إطارمانسميه إعلاميا بالدورة المفتوحة (1) التي تحتوي في باطنها على مجموعة من الإقرارات الجماعية للشيخ «سي عطية قدس الله سره «منها (قلة الزاد ، الزلل ، التقصير)، تبين لنا هذه الإقررات تواضع هذا العالم الجليل وهويتوجه بيديه الى المولى تعالى،طالبا منه مجموعة من الطلبات ،طلب الرحمة ، طلب المغفرة ، طلب العفو ، طلب الأمن وطلب الرضا،وطلب الستر، كما أنه أوصي أبناءه وأحبابه بالدعاء له عن جلد وصبر، من خلال صنفين من الدعاء ،الدعاء المباشروهو الصنف الذي سجلنا فيه مفردات الدعاء في البيت الاول .

لا تغفلن عني فديتك بالدعاء *** حيا وميتا في المقابر مودعا

وبالدعاء غير المباشر عند قوله :

و الله يرحمني ويغفر زلتي *** فهو الذي برأ الوجود وأبدعا

ومن خلال «الجمع بين الدعائين»تبينت لنا مجموعة من القيم ،قيم إيجابية(4) ونقصد بها تلك الصفات التي أوصانا بها الرسول صلعم كالتي وردت في حديث المصطفى « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامةومن يسرعلى معسريسرالله عليه في الدنيا والأخرة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه « الرحمة ، الرضا ، الستر,البشر، الامر بالمعروف .

وقيم سلبية تحمل «الصفات التي تنطبق على السلوكات» التي كان السلف الصالح يدعو الى إجتنابها وهوما يرد في مخطوطاتهم بفضل التنبيه،حيث ذكر أبي عامربن عامرالأشعري في قول المصطفى»نعم الحي الازد والأشعريون لايفرون من القتال ولا يغلبون هم مني وأنا منهم «(6).

ان الشيخ «النحريرالمرحوم أعطية مسعودي» أنعم الله عليه كان كثيرالدعاء مستمرفيه ، لاييأس ولا يقنط ولايتعجل ، ما يعلن منه إلا ما يراه مناسبا لفهم الناس والأبناء، لذلك يضل «مرتجاه» في المالك بان يفك كرب المسلمين،وهذا لايفهمه إلا من لازمه بالطواعية والمجالسة الطويلة فالمتمعن في قوله :

فالحر لا ينسى الذي أسدى له *** خيرلو كان الرقيع الاجدعا

يدرك للتو أن الشيخ «مسير»في إعطاء المعروف والعلم،حتى أنه كان رحمه الله،عندما ينزل مضارب يدعى إليها من قبل عامة الناس (يرفع بيديه إلى السماء)، طالبا الله عزوجل ببسيط القول ليتنازل من قدرإنسانيته ،يشعرمن يستمعون إليه ،بأنه «عبد منيب» يخاف المولى تعالى يطالعه طالع الخيرقوله صلعم « آلا أكون عبدا شكور «في رده على الذين قالوا له لماذاتعذب نفسك بالعبادات وقد غفرالله لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر؟»هذاالطالع المستظرف» إنماإتخذه الأولياء الصالحون والمددالمفسرمن ورائهم (قدوة)لفضح ما قد يخبؤه اللسان ،جل من أنعم عليه بفيض العلم الرباني سوى أن يقول في قمة الندم والخوف من البارع المصورإن زاده وماإتخذه وعمله من أعمال طوال حياته ،ماهية إلا» شيء قليل»والقليل هوكل ما صغر من مادة أو معنى ،فهذا» الصغر المتعاظم في حياة الشيخ «هو»كبرمتكاثر في حياة بسيط يجهل دينه» فإياك إن تنسبه إلى (إدراك)،أن العالم الجليل إنما يوصي نفسه بانها فانية وما قام به من أعمال هي زلل ماضية ،تذكره في ذلك صرخة نبي الله يونس عليه السلاموهوفي بطن الحوت لما ذهب مخاطبا « سبحانك اني كنت من الضالمين « فاذا قال زادي قليل ليس لي عمل به فهذا بمثابة التواضع نزولا عما قاله «يونس عليه السلام» خاصة ان الأمريتعلق بوقفته أمام المولى تعالى «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون سورة السجدة 532، يكثرالهديرولامن مسمع غيرنفس نفسي وإذ «يعظم من هول ماصاروا إليه ، فالمناجاة الإلهية لا يعيها إلا متمرس من عباد الله وقد حق ذلك عند قوله : و الله يرحمني و يغفر زلتي *** فهو الذي برأ الوجود و أبدعا .

- حكمة: النصح و التناصح :

إعلم أن الضعيف يكون قليل الزاد في الحياة أوفي سفره، لكن ذكره يستسعويشتهرإذا نصح الأمة، النصيحة «مثوبة مجلية للوهن» ومقوية للبدن ، يقال عنهاطابعها روحاني، يستقيم» حاله» ويستمرمآله الى مايوصي به ربنا، «فالناصح» ماجبل الخلق على «القمة» من مكاسب عقله،وما أشارت إليه شموع العلم ويقال في المثل الشعب(« يعرفوك الناس من النصيحة حتى ولو كنت في صورة قبيحة).

إن معرفة الناس لك، لاتظهرإلا بما تقدمه لهم من نصائح، تقودهم إلى ما يفكرون به سواءأكان فضا،مرا أوفيه فاقه من عيش،فالوجوب مضطر، كماورد في المثل المتخصص من أصل البيت الأول للشيخ سي اعطية .

وكم لي على ضعفي ونزر بضاعتي- وافق فيهم بالنصائح تعرف

نعودإلى تفصيل النصح الذي أورده الشيخ،بدراسة إستنباط القيم الإيجابية والسلبية ليدرك القارئ الفقير مفهوم الجميل الكلام في أبياته الدرية .

أدل على خيروأدعو الى هدى *** وأوضح حكما بالبيان وأكشف

ووالله لولا خشية الله ربنا *** ومالك يرجى وما يتخوف

لكنت تركت الدرس منعزلا *** أبث لهم نصحي ولا اتكلف

إستعمل الشيخ سي اعطية ’ست قيم إيجابية ’هي « الدال على الخير « « الدعوة الى الهدى « « توضيح الأحكام « « الكشف عن الأحكام «» خشية الله « « الخوف من مالك « واستعمل قيمتين سلبيتين هما : ترك الدرس,عدم النصح ، نستجمع من كلامه « أخلاقه الصوفية «على ما هو سائد في سنة «محمد صلعم» وكأني به يرتع من حديثه صلعم « الأخلاق مخزونة عند الله تعالى فإذا أراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا» والخشوع والخوف من الله تعالى مصدره ثبات النفس التي تعتبر أسمى خلق في متصوف متجرد الى الله،يحمي بها نفسه من هجمات المتملقين والحساد.

- حكمة :الالتزام بشكر الله تعالى

إعلم أن «الإلتزام بقواعدالحمد وإقرارالشكر» من موجبات العمل العبادي الصالح ، فإذا كان الحمد متسلسلا كما جاء في صحيح مسلم عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه» كنا عند»رسول صلعم « فقال» أيعجزأحدكم ان يكسب في كل يوم ألف حسنة، فسأله سائل من جلسائه ،كيف تحسب ألف حسنة ؟ قال يسبح مئة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أوتحط عنه ألف سيئة ،أخذ الشيخ سي أعطية مسعودي قدس الله سره بمبادرة تحبيب عباد الله للذكروالتسبيح لذا نجده في درره الأتية يقول :

الحمد لله قد وعدا *** بالنصر من أطاعه على العدا

سبحانه فوعده لا يخلف *** اذا اتى بشرطه المكلف

إن تنصروا الله كما في الذكر *** ينصركم وأصدق بوعد البر

يدعوالشيخ سي اعطية المسلمين الى الإقتداء بسنة المصطفى الكريم،لحبه لهم على طريقة الإمام أبي حامد الغزالي ،وهوإمام الائمة العامل بطريق التزكية ، اذا «تزكت النفس» تجلت أيات المحبة التي بها يتم النصروالدخول في عوالم البروالخير،(إتعض)

هي أكبرنصيحة التي توصل من أطاع الله ،وأدى ماعليه «إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى الاية8 سورة العلق ولذلك اعتمدنا على إخراج المثل النسبية من الدرر الشهية جمعا وقياسا

تظهرالأبيات السابقة «خلقه وطريقته في الشكروالحمد»، قيل في إحياء علوم الدين عن «أبي حفص من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف،و يسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه و شكر الله من يحمده» هذه صفة من أخلاقه جعلته يتواضع لله في كل مرة ،غيرآبه بما يقال عنه فقد قال الجلاء(4) «لولا شرف التواضع كنا اذا مشينا نخطر»،وماذلك «بهين» عند ربنا وقيل عن» رسول صلعم» كماورد في الإحياء، «إن من رأس التواضع تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك ،وان ترضى بالدون حتى المجلس وان لا تحب المدق والتزكية والبر،» كانت هذه الخصائل اضحة في «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» , ولاأعوزالينا أن نرى أبنائه ومن سمعوا عنه يحتذون بمثل ماكان يعمل وأن»لاتغرنهم الحياة الدنيا»حتى لايتصدع جدار ولايهرم «عبد» قبل موعده، ولايعطى جرم في قاصر، ليظن الناس انه معافى (5)، خصوصا وأننا أصبحنا نسمع كثيرا من أدعياء الدين والقصاصيين اشياء عجيبة صاروا كلهم أهل فتوى، وقد دخل سيدنا علي كرم الله وجهه ذات مرة الى المسجد، فاذا برجل يقص ، فقال ما هذا ؟ فقالوا رجل يذكرالناس، فقال ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول أنا فلان إبن فلان فأعرفوني، أرسل إليه فقال» أتعرف الناسخ من المنسوخ « (6) قال (لا) قال رضي الله عنه « أخرج من مسجدنا ولا تذكرفيه ،وقال أبو إدريس الخولاني..لأن أرى في ناحية المسجد نارا تتأجج أحب الي من أن أرى في ناحيته قاصا يقص.، ولهذا كان الشيخ دائم الذكرملتزما ب»الشكرلله تعالى»متحذرا في الوقوع في الزلل معتمدا على الذكروهوما يظهرفي قوله،

ان تنصروا الله كما في الذكر **** ينصركم وأصدق بوعد البر

- حكمة : التادب مع الشيخ.

يبين الشيخ» سي اعطية قدس الله سره» أهمية أخذ العلم عن الشيخ لانهاتورث من يتبع «التشبع والتعمق» يكون المتبع قد أمن شر المسخرة (مهبط عن سرادب الخوض في ما سواها من علوم الوضع المدكن،) جامعا بين عناصر مكملة لبعضها، كالحفظ وجمع الكتب وأخذ العلوم ، وكأني بالشيخ سي أعطية يؤسس منهجا انسانيا يطبعه على محتويات النصوص لاستخراج الجائز من المردوم (7), ويتضح ذلك عند قوله :

واذا لم تكن حافضا واعيا *** فجمعك للكتب لا ينفع

ومن ياخذ العلم عن شيخ مشافهة***يكن عن الزيغ و التصحيف في حرم

ومن يكن اخذ للعلم من صحف*** فعلمه عند اهل العلم كالعدم .

وسيجرنا شرح منظومة الشيخ سي أعطية إدراكا بواجب الحفظ مع الوعي وأخذ العلم من الشيخ تذكارلطريق الصوفية(الكتاب والسنة)،كما أخبربذلك» زرعة إجازة عن السلمي قال : سمعت الحريري يقول صح عند أهل المعرفة أن للدين رأسمال, خمسة في الظاهر(7) وخمسةوخمسة في الباطن ،فأما اللواتي في الظاهرفصدق في اللسان و سخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى وإحتماله بلا إباء وأما اللواتي في الباطن فحسب وجود سيده, وخوف الفراق من سيده ورجاء الوصول الى سيده والندم على فعله و الحياء من ربه.

أكد الشيخ» سي اعطية قدس الله سره «من خلال ما قال المثل العامي « الحرفة بلا شيخ ما تتعلمهاش « (8) أن ما يصدر في علوم المنهج الصوفي تقودالسائل أوالناهل الى برالصواب فهوبمثابة المشرف على عمل طالب باحث إذ يخطره بمأمورالزيغ إن وجد وبزجره ينهاه عن عدم تكرارإستعمالها، ولاريب أنه ربما يؤول الكلام في غيرموضعه بدون تكلف ،كأنماهوت به الريح في قرارسحيق، ومنه يتضح أن الشيخ هوالذي يخرجه من مقصده التصحيح (أنظركتابنا لاتخذوا العلم من صحفي 25) صادرعن دار الاوراسية سنة 2002 ،من خلال ماتم جمعه يمكن بناء الحكمة الصوفية التالية : « الحفظ بالوعي عن الشيخ إدراك « قال الخطيب البغدادي حق الفائدة أن لاتساق الاالى مبتغيها، ولاتعرض الاعلى راغب فيها،فإذارأى المحدث بعض الفتورمن المستمع فليسكت،فإن بعض الأدباء قال نشاط الفاشل على قدرمهم المستمع ثم ساق بسنده عن زيد بن وهب قال عبدالله حدث القوم مارمقوك بابصارهم، فاذارأيت منهم فترة فأنزع.وذكرفي المقدمة الوثيقية يدفع الشيخ أعطية قدس الله سره عن المريد ذلك الوارد بطرق الإستدلال اوبطريق الحال..

- حكمة التعافي والتسامي

ترصيع الجواهرفي كلام الشيخ «أعطية قدس الله سره « يظهرفي كل بيت من أشعاره،لوأن تلاميذه نشروها بالمساجد والمصليات والمواقع لكان تأثيره أنبل وأشمل ،عندما نقرأ قصيدة عهدة الدين (انظر الملحق)،تظهرلنا «ثلاث دررنقية»من الأخلاق الصوفية منها إجتناب «ما لا يعني» «العمل بالنية» , مباعدة الفتن عند قوله :

أدأب ودع ما ليس يعنيك إعملن*** بنية مباعدا كل الفتن

وصور أخرى

إحياء القلب بالذكر----- وفائدته الحماية من ملهيات

الولاء للعلم ----- وفائدته استجابة الدعوة

مضاعفة النوافل ----- وفائدتها النجاح في كل المساعي

وعلى ذلك يكون الشيخ» سي اعطية مسعودي قدس الله سره» أراد إن يبين في حكمته «تواصل وتوادد الغريب» شارد الذهن ينهاه ويقول له إياك وأن تتدخل في أشياء لاتعنيك وإعمل على توظيف النية، بمباعدة الفتن والصدق مع المعلم،وضاعف النوافل والتقيد بمأأمرالله وذلك بالإعتماد على الله ومضاعفة الذكر،والعمل بتلك المنجيات سوف يفتح الأبواب أمام العمل بالنية ويضاعف من مساعي نجاحه في الحياة وفق مسارات الأخلاق.

(الصدق مع العلم)

واصدق مع المعلم المربي*** يأتيك إن صدقت فتح ربي

(مضاعفة النوافل)

واد فرضك وزد نوافله *** فهي بإنجاح المساعي كافله

(التنفيذ بأمر الله)

فالله لا يقبل ما لم يأمر *** بت العباد فامتثل وشمر

(و الاعتماد على الله)

واسمع همومك بهم واحد *** معتمدا على القوي الواحد

(مضاعفة الذكر)

واحي قلبك بذكر الله *** محتميا عن سائر الملاهي .

- حكمة الاعمال المنجية :

قيل عند السلف « الحلال بين والحرام بين » أئلج الشيخ سي أعطية قدس الله سره «صدورطلبه العلم بإقرارالسيرنحو النجاة بمفاتيح الإقفال التالية : (الحج، الجهاد، العلم، تجارة، أخوة الزيارات) بست متاريس لإجتناب (البدعة , المال الحرام , سلب المال, الفرار)، يدل هذا التميز المقطرب بين المطلب والمهرب على أن الشيخ سي اعطية مسعودي سلك سلوك الزهد وإقتفى لنفسه كما لفقرائه طريق الصلاح والهدى .

أصبح مفهوم الحياة ينقسم الى شطرين شطربالزيادة في الأعمال و شطرفي الهروب إلى أعمال الدجال .

أول تسعة أقسام ترام *** حج جهاد عيره علم يقام

تجارة أو اكتساب أورباط ***أو إخوة في الله زرهم باغتباط

وستة أقسام سير المهرب *** فراره من نحو هرج اضطراب

أوبدعة عمت أو المال الحرام*** بأرضه أو صنم يدي الأنام

أوكان يخشى سلب المال أو أذى*** يلحق حسبه وعرضه كذا

قدم ستة منجنيات يهلكن 6 مهلكات، كلما كانت النفس في أقراطها ناجية إلاوقصدت للمهالك الضالة بالقضاء على التوحش المفضي إلى أنسنة الإنسان بسلوكياته المتردية والرديئة.....

- حكمة السادسة الاخذ بالوشائج :

تظهرمعاناة «الحياة»(تسلسلها عليلها بانيها وهادمها) كأعداد قياسية وضحها «الشيخ الجليل أعطية مسعودي قدس الله سره « في شكل رسالة(تضم بين أكناتها مطارح ومثالج) على خطى «وشائج» من القوم وهوالشاهدالأكبرعلى حضورهم» أن يصيبون أو يخطئون» .

قال بعض العلماء بالأثر * أقسام ما يجري على دنيا البشر

25 صفة منها :

5- صفات تسمى (القدر) وهي رزق–نجل –أهل سلطان عمر

5- صفات تسمى(اكتساب) منه نار- عفة – ركض – وخط

5- صفات تسمى (عادة) وطء –أكل – نوع – مشي – وقدر

5- صفات تسمى (جوهر) زهد – ذكاء – حن –وار –بدل

5- صفات تسمى (وران) خير – نماء – أمانة –وصل وبر

- حكمة العمل التطوعي :

كرس اسلافنا حياتهم لتقديم الوعظ والنصح(بدون أجر)مثلها «مثل العمل التطوعي داخل النظام الجمعوي «غيرأن النصح يختلف من عالم إلى أخر، بدأت سروج لأمم بعلمائهاو»الشيخ سي أعطية قدس الله سره» علم(بفتح العين)قدم قبل إن تنشأ الإذاعة الشيء الكثيرولوعاش في وقتنا هذا، لما كان ينطق في حضرته نفرإلا بإجازة العالم عن الشيخ، ان الدين مرآته «نصيحة «يقدمها متمكن وراسخ في العلم إلى وترأوفرد يعيش في كنف الحياة مترفا، إجتبى المولى تعالى شيخنا علىالفقر،ببصيرة صابرا، بإذنه،ينصح ««الناس بأمورالسيرة الموضوعة عن أبي هشام والمتركزة على إن (وحدانية الله) كانت محرك كل الأنبياءوالرسل وهي بماخلق الله» الظواهروالبواطن»منظرة إنقيادكأننا نشد الطفل من أذنه ،لنريه أيات الكون بين الظواهروالأملاك والمادة والجمال والنعم التي لا تحصي حتى تكون حجة على الذي يرى،عليك ايها المتبصرأن يحمدالله على ماهو فيه خيره أوشره وإذا أراد المعاناة والمداواة ،فالدواء حسبه بسيط هوعمل الإقتداربالسنة الأحمدية وحفظ سلوكاته وأقواله ،و أفعاله إتجاه العباد والإفراد ، مايشد به الفرد إيمانه سوى قراءة كتاب الله (القرأن) وتدبرآياته والإعتناء بها،ويقصد بالنصح ما تلقاه من أئمة الزاوية الجلالية من فضل الله وسيرة النبي إن يجتمعوا بالطاعات نوازلهم وان كثرت فلا شيء يجده نفعا سوى القول اللين،والمجادلة الحسنة الطيبة هي من تفي إلى تبين نصرة الدين بالعلم و العمل والنهي عن المنكر .

ربط الشيخ «سي أعطية قدس الله سره» في ماله علاقة بتوحيد الله واتباع سنة المصطفى الكريم وبقراءة كتاب الله وتدبرآياته والتواضع للغيروالصفح عن الجاهل وتكثيف العمل والعلم والنهي عن المنكر،إن النصيحة المقامية هي توحيد وسنة وقراءة لكتاب الله (موجه لأمة المتقيين والعارفين بالنصيحة العامة هي الطاعة , لين القول ، الصفح ،العمل والعلم، النهي عن المنكر .

- حكمة مايجب مع اللسان الفتان

باللسان يمكن إن تقول كلاما «دربا» كما يمكن أن تفتح أبواب جهنم وفي حكمة اللسان الفتان ، يرى «الشيخ سي أعطية مسعودي قدس الله روحه « بأنه مفتاح لإصلاح ما خربه الإنسان حتى عاد يتخذ من مجاري الهتان سبلا للفرقة والتوهان،فاعلم أن اللسان يتسترللغيبة والكذب والفضيحة والباطل فهوشرهم فسادا، قد يجعل المنتقي لدفعها يقرهم باللسان،لأنهامن صفات القدروالتكلان،وإذاكان في الإصلاح والبناءعلى الاضطرار،يجوزله من باب الخجل الإصلاح إذا كان لرأب صدع مشروخ أوحفظ للنفس من الغلط أوحماية المال أوفي الحرب أوسترالعيوب الكاشفة أوجبرلقلب وصي يقدم نصيحة لزوجة،مجموعة هذا البيان في ذكر اللسان ، كما قيل في وصفه ،أنعم الله على الشيخ ‹سي أعطية،مسعودي وهو يزجره في حماسة لمذهبه .

وجاء من شهد زورا علقا *** في الحشر من اللسان بأس اللقاح

و من تحلم بحلم لم يره *** ويل له يوم اللقاح ما اخسره

ومن تشبع بما لم يعطه *** اجلب مقت ربه و سخطه

واسترعلى المسلم كل عيب*** وصنه في حضرته و الغيب

لا تفش سر من سر أفردك *** دون الملا واخش الذي أوجدك

ولاخيرفي لسان «ألهته الضنون ليشهد بالوزرشهادات زور»، فعلقه الله يوم الحشرولم يسترعيوب الناس،أفشاها ضنا أنه

سيكون مهر للناس بحفظه من قصص لايسمع به من به وهن ،عن تفاصيل حياة الأمم يلزمها ولاهوحافظ للقرأن حفظ المتدبر،وكأني بالشيخ «سي اعطية مسعودي قدس الله سره «يريد إن يقول إن حفظ القرآن ليس باللسان بل بالتدبروالتدبرهو قراءة تفاصيل الدخول في كبائر الأمور وتبسيطها للعامة بالآية القرآنية التي تظهر معها الحجة وقراءة بالأحكام مع التمعن .

- حكمة تعليم الكتاب والسنة :

يتخذ الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله روحه من بعض رسائله إلى العامة، «لمعة موقدة» تلج لها الأبواب الموصدة ، يريد أن يبين وظيفة الإمام مما ثبت بالسنة و بإختيار الصحابة و التابعين فقوله :

والأصل في الشرعة كتاب الله *** مقدما وسنه الأواه

إجماع أهل العلم و القياس *** بتا لكل مهتد نبراس

يقدم في متونه «وظيفة هيكلية» كالتي أنبنى عليها بصور الحكاية الشعبية10يريد إن يبلغ الناس أن شرع الله و سنة المصطفى هما الأصل وهذا بيت أهل الصوفية عليهم «أنعم الله» فإذا أخذنا بالقياس الأدبي على ما أراد قوله تتجلى لنا الفحوص تعيشها وضائف متتالية في باب المستترمن العوارض كما قال العلامة الزاهد عبد الوهاب الشعراني وغيرهم سيدي بن عومروعبد الرحمان الثعالبي والشيخ عبد القادر الجيلالي .

إن العمل عند أهل العلم و القياس يجب إن يكون بالكتاب والسنة .

وظيفيا : أباح الشيخ القياس للعمل بالشرع و بالسنة للحصول على النية ،ثم عرض من فضائله للناس بعض الصور الشعبية التي ترقى بالعبد إلى مستوى التقوى .

الدين يا أخا التقي النصيحة *** في قوله للمصطفى صحيحة

ولعل إشراقه في كل مرة على حياة المسلمين، بالتذكيربما جاد الله عليه من قداسة المكان ،الوظيفة السامية التي نادي بهاهي تهذيب النفس،ولم يقل(إجبارها أوقتلها أوهجرها)،بل أراد إن يوظف لمستمعيه معيار»التهذيب» كل لديه بهذا المعيارأوجب، أن يقدم لأجله مئات البنودلإصطفاء النفس وجعلها خيرة تنوح وتفرح مع الاختيار، والنفس بغير عقل(الذهن) لاخير في ما لم تعقل عقالها مع العقل في مربط واحد فلا منبه ولامنتبه،والمنبه صفة التهذيب والمنبه للمهذب ولا يرقى ذلك في وظيفة المهذب إلا إذا(صبر, وشكر ,وتاب ، ولم يذم)

هذه الإعمال الأربعة هي التي يتولاها الموظف المهذب لعله يبلغ بها مثالية توصله الى الله سبحانه و تعالى (« يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات «) المجادلة 11 .

ان إصطفاف الوظائف في فكر الشيخ «أعطية قدس الله» هي وجهه مجلبة للسعادة الإنسانية ومطرح للراحة النفسية ،تعوزني في ذلك لفتة لقمانية رائعة وددت لوعاش الشيخ عددا للزمتة خادما حافيا « يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه وتعالى « يحي القلوب بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل السماء» ورحم الله العلامة الفهامة سيدي محمد بالكبيرعندما كان يجلس للدرس يضع ركبتيه على ركبتي الشيخ العارف النحريرالحافظ سيدي أحمد بن ديدي فيبقيان على هذه الوضعية من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر .

- حكمة التوبة واللاعود :

يبين الشيخ اعطية مسعودي قدس الله سره للتائب مجالات يتبعها في حياته إذا أراد أن يطبق الخلاص من الذنب

واعلم بان كمال التوبة *** رد مظالم وترك الحوبة

إن هجرالدنيا إحتسابا لوجه الله خوفا وجزعا من قوة القهار، لا يعيها إلازاهد متمرس،ويمكن (لعابد ناسك) متضرع بالذكر إن يهجر أعمال الناس ، لا يقحم نفسه في مصلحة قد توهم خصومه وترد عنه شفاعة أوشربة من ماء الحوض للمصطفى الكريم لا يضمأ بعدها أبدا.

كمال الصفة من مميزاته الواحد القهار، إستحسانا كصفة لا تقدربوصف من صفة الجبارتكون في «ردالمظالم» إلى أهلها كيف لايكون الشيخ قد أفتى بجلال التوبة من خلال الكمال لله ولا يتم ذلك إلا بإجتناب «محارم المعاصي «ككل ماحرم الله فجعل القلب صلدا لا يلين .

وقال بعض العلماء قل ما تشأ فمثله تفعل تأبى أوتشأ

من أكل الحرام جف قلبه من كل خيرويخاف سلبه

حي بصير بعد الاستنارة اشد قسوة من الحجارة

وجاء في الحديث اشقي الناس من كان ذا قلب غليظ قاس

- حكمة مجالسة العلماء :

أعطى «الشيخ سي أعطية مسعودي قدس الله سره» للضعيف الباحث عن النصح «مطارح رحمة» تبلغ منها أساريرالنجاة إن هوإتبعها لن يضل ولن يشقى ،وقد ذكرها مستشهدا بإمام الإئمة الشيخ الغزالي .

قال الغزالي : مجالس الورى *** إلى ثمانية قسمت كما ترى

مجلس أهل العلم فهم وتقي *** والاوليا صفاء قلب و نقا

قناعة وصبرعند الفقراء *** والعجب و الرياء عند الامرا

إن ملازمة العلماء كما فعل رحمه الله كانت هي الوجهة الحقيقية للباحث عن مهدئات النفس الشاردة الباحثة عن قدوة إيمانية،يميزها الفهم والإقناع والتقى، كماهوالأمرلمجلس الأولياء ذوي القلوب الصافية النقية المسترسلة أنوارهامن الأودية الإيمانية ولاأمل في مجلس الفساق من يتهاوون على العصيان والزلل ومجالسة النساء فيها الغبن والندم بعدالاجترارومجالسة الصبيان قلة حياء لأنهم لايفقهون ومرفوعة عنهم الأقلام ومن غرضه يطلب من محبي النصيحة إن يختاروا أيهما للنجاة والسيرإلى مرضاه الله وكأنه يريد إن يقول لهم الحلال بين والحرام بين

ومجلس النساء يحب الزنا *** ويجب الشهوة رائد ألحنا

ومجلس الصبيان فيها المزح *** وقلة الحياء فهو قدح

فاخترمن المجالس الخيار *** واحذرسواه ترتفع مقدارا .

- حكمة القسم بالله:

ماجاد بالقسم فبالله توكيد الشارع المعزالمقتدرالعالي الذي لاتدركه الأبصار،النافع بناأوبدوننا القاهرفوق عباده كبيرمجل لايوصف بالقدر الذي عليه، إلا ما تصورته العقول ،وإن علت لاشيء معه وحيد منفرد قديم قديم الأزل، لا نقاش في ذاته ،ولا في عرشه مهما إستوى لاتعيه الأبصار،مهماعبدت ولامت وقهرت نفوسها، الشيخ الجليل «سي أعطية مسعودي» قدس الله سره يعبربالقول أن الله عظيم فوق السماء والأرض ولا بغيره نقسم على أموردنيانا ،بسم الله تفتح الأركان لعظمته وتهدئ العاديات الجائرة وتبث الرياح والعواصف وتبعد الأذى ولوم العداء الكبرقال الشيخ سي أعطيةفي شأنها

والحلف إن كان فباسم الله *** لا غيره ولو رسول الله

ان هذا الاعتناق إنما هوإقرار لعبودية الله في كونه لا شريك له مالك الملك ،ليس معه أحد حتى ولوكان النبي « صلعم » من إصطفاه عن البشرية جمعاء ،وليس بعده ولاقبله بعزيز مكانته من الإنس والجن فقد أخبرباسمه ما سبق قبل وبعد الطوفان .

- حكمة البر.... بالوالدين :

إضاعت «مضغةاللحم»من أسموهاالقلب هتاكة الحرم مبلية للبشر علماء وضيعها (خلف وسلف)،لم يشغلوا أوارها وهتكوا حجبهالأنهم لم يعطوها الميزان، الذي وضعه المصطفى الكريم « إن في القلب مضغة إن فسدت فسد الجسد كله «

وتلين القلب بالذكروتحديدالحول والقوة بالله العلي القدير وهاهوالشيخ سي أعطية قدس الله سره المفدى يهيكل للقلب وضائف أسماها واجب عند قوله :

وواجب القلب اعتقاد الأمان مع سنة وطاعة بإحسان

إن إدخال الإعتقاد (الإيمان في العمق) كالإيمان بان»إلام «هي «الام» ولا منزوحة عن ذلك ،من واجب القلب أن يعتقد بالإيمان بان الله واحد و بالرسول «صلعم « خير هذه الأمة وسنة « المصطفى صلعم « طلبا للتخليص من براثن الغبن، فإذا ماترسخت في دوابة القلب مبدئية الإعتقاد بالله وسنة المصطفى حتما سيمارس نفس أحكام الطاعة ويحسن فيها .

ان الطاعة عند الشيخ هي إتباع سنة محمد «صلعم « تطبيقا لا تطبقا بحذافر،ما كان يفعل المعلم الأكبر بن عبدالله عليه الصلاة والسلام , كان المصطفى رافضا للكفرمحاربا لبوائقه كالكبروعقوق الوالدين داعيا إلى برهما عند الكبر .

ونبذ ما ينقضها كالكفر وبدعة وموبقات الوزر

عوق والديك جاء الخبر من الكبائر التي لا تغفر

فاخفض أخي لهما الجناح فطالما عنك الأذى أزاحا

- الحكمة الشعرانية :

أبلغ شيخنا»سي عطية قدس الله سره» وسدد به المنح الزكيةوعرف ربه عن ورع وتوبة وتصوف , وإشتد بالمظلوم الزاهد الذي طلب من ربه العلم فزاده كما طلب قبله الرسول « صلعم « قال الشيخ الزاهد والعارف بربه «عبدالوهاب الشعراني «أنعم الله عليه قال «سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول « إذا كان رسول صلعم أمر إن يسال ربه الزيادة في العلم فماضنكم بغيره واسماه أبي المواهب نظرا لرعايته في بحور العلم انشغاله بالفقه وكثرة تأويله لكلام المشايخ وأخذه بالا حوط وشرحه لمحفوظات المشايخ وعددها 50 كما ذكر في اللطائف وحفظ القران والمتون ولهذا قال :

ولأبي المواهب الشعراني عن خضر قطب ذو الهرمان

فكان الشيخ سي أعطية قدس الله سره من سيده الشعراني عليه شاايب الرحمة بمثابة القبس العرفاني الذي دانت له الأمواج وسائرمن الروايات والترجمة المرورية في الخواطر الباطنية،إستمد منه الشيخ سي أعطية طيب الله ثراه دوافع التأثيرمن تامين السلب من الإيمان فأعطى الوصف الروحية التي مانفذت عن طهارة وإسترضاء إلا أجابت لمولاها دوافع الشيوخ الفيضية ،وهي ذي الوصفة كما قدمها الولي الصالح سي عطية منقولة بهية عن الشيخ الشعراني ناصع وباعث الخلواتية :

قال سالت أربعا وعشرين *** إلف نبي عن دعاء التامين

من سلب إيمان فكل احتار*** ولم يجب حتى سالت المختار

فقال جبريل عن رب الأنام*** إن الذي يقرا دوما باهتمام

أية الكرسي وامن الرسول*** لأخر السورة يحصى بالقبول

وشهد الله إلى الإسلام *** كذا قل اللهم بالتمام

خاتمة التوبة سورة الصمد*** وسورة الناس وسورة العقد

فاتحة الكتاب وهي خاتمة *** بحقها أنال حسن الخاتمة

كانت دعوات الصحابة دوما تثبت الإيمان وترسخه كما وصف الشيخ سي اعطية مسعودي

- حكمة اخذ الحكمة :

صاد الشيخ سي أعطية مسعودي طيب الله سره في حياته مآثر باطنية وظاهرية ،أراد إن يبلغ فيها شباب الأمة ناصحا مستنصحا لهم، صارخا في وجوههم محببا لهم ما يرضى الله مكرها لهم الفساد،فهاهي ذي المعارج من يبلغ بها الفرد العلا:

- أخذ الحكمة ولو بالسعي لها والها ومن أجلها في لوح الإيمان

- طاعة الله ورسول والمشايخ وأولى الأمر

فإنما النصر حليف الطاعة *** والذل والخذلان في الإضاعة

- إصلاح الأعمال : كبرها وصغيرها

والله واعد الذين امنوا *** وأصلحوا الأعمال إن يمكنوا

- صدق الوعد (الوفاء بالعهد)

وإن يبدلنهم من بعد *** خوفهم أمنا بصدق الوعد

- عمارة بيوت الله و الصلاة في المساجد :

وأعمر بيوت الله بالصلاة *** وذكره في سائر الأوقات

- تحصيل العلم وطلبه بالسفر

وحصل العلم الشريف فهوا *** شفاء كل علة وبلوى

إن منافع العلم عند الشيخ شي أعطية كثيرة منها :

1- يحي العقل و الروح

2- مقتنياته نور وفيه الهداية

3- يرفع الفرد في السادة ويعطيه الشهادة

وهذه المنافع ينالها إلا :

- الصابرون في طلبه وملازمون للشيوخ

وقد أعطى الشيخ» سي أعطية مسعودي قدس الله سره « لمحبي العلم بعض الآليات للوصول إلى درجة العلم السامية وهاهي ذي الأدوات مرصعة الجواهر :

- أخذ الأكبر أهمية في المعرفة خذ اللباب وأترك السفا سف

- حفظ كتاب الله والإهتمام بالحديث « وأحفظ كتاب الله فهو العمدة / وإجعل من الحديث خير عدة .

- التحلي برفعةالاخلاق والصدق والشجاعة وحسن المعاملة وحب المؤمنين.

- استغلال فتوة الشباب في طلب العلم

-الابتعاد عن الظلم واللهووالخمروالغش والحسد

-احترام الناس العالم الكبير, الصغير

-طاعة الوالدين

للوالدين كن مطيعا محسنا **** فطالما معا إليك أحسنا

- الحكمة الحاوية :

أخذ «الشيخ الجليل سي أعطية مسعودي قدس الله سره» بمعارف العلم من الشيوخ النحارير،كما فعل ونقل الشعراني عليه شايب الرحمة عن شيوخه»أبي شعرالماوردي» و»الشيخ ابراهيم المتبولي»,و»أبي السعود الجارحي»,مادك به وصف الأوصاف،رغبة في إلحاقها إلى الناس للاقتداء والتعلم .

يبدأ بقول (ذكر)ماينفع الناس والخاصة منهم وأهل العلم يستشهد بالحاوي قائلا في صفوته بين رفوف الكتاب عشر مكفرات للسيأت، إذا أخذ بهم المسيء أصبح كمن لا سيئة له، لخصها في واحدة .

كقوله :

مكفرات السيآت عشرة *** فتوبة وطلب المغفرة

حسنة يفعلها فتذهب *** ذنوبه كذا لبلاد مذهب

وضغطه البريصد عليه *** أودعوة صالحة تهدي إليه

أورد حشرا وشفاعة النبي *** أورحمة الله اجل مطلب

- الحكمة الواقعية : الإمام بن جزي

يواصل الشيخ «سي اعطية قدس الله سره» نقل ما تأثر به، من علوم تلقاها عديدة في حياته نقلا عن المشايخ إلى الناس

والفقراء من أهل الطريق،يرشدهم في ذلك الى معرفة الله عزوجل التى تنقذهم يوم الفزع الاكبرمن النار،وهو بذلك يتوجه الى ذلك الذي يرتكب الكبائرولا يتوب الى ربه متابا

قال الإمام ابن جزي الفحل(50)

لا يدخل النارسوى من ارتكب كبيرة وبموت لم يتب

ولم يقل عفو الإله ذي المنن ولا شفاعة النبي المؤتمن .

- الحكمة البلغيثية :

يختصر»الشيخ سي أعطية مسعودي قدس الله سره « العبادات في ماقاله البلغيثي رحمة الله عليه، وهوعالم نابغ أشرنا اليه في باب السيرة النيرة ظهرأن الشيخ قد قرأ متونه العليا مستفيدا ومتأثرا بأكوانه .

وفي قول البلغيثي *** ربي بجاهه فكن مغيثي

يذكرفضل الله على هذه الأمة،بإنزال الذكرالحكيم عليها كدين يقتدى به وباركه نبي الرحمة رسولا وسيدا للعالمين،وقد سعى في باب الطهارة الوضوء غنيمةوالغسلكماذكرواجبلأداءالصلوات الخمس،والجمعةعبادةأمربصيانتهاصونامكرماوبالذات لمايفرح المسلمون بالعيدين(الفطروالاضحى)،وصلاة الكسوف والتسوك والتقصيروصلاة الاستسقاء والجمع في الصلاة وصلاة الميت وليلة القدر،واذا مابرع المؤمن في هذا الصورربطا يمكن له أن يمرالى برالأمان خيره ونعمه، لأن كل أهل العلم أجمعوا بتدارك تلك العبادات بطاعتها ينال ثوابها غيرمدنس بل أبيض بياض الثلج بقوله :

إجماع أهل العلم منها حجة *** واضحة لسالك الحجة

ثوابه مضاعف سعادة *** إثارة تكتب في العبادة...

وإذاماأصاب العباد «وباء مهيكل « بين طلب المعصية فقد إنبنت عليها الشهادة في الأثرقال الشيخ سي اعطية :

وكل من أصابه من الوباء فإنه شهادة جاء النبا

ومن له عدلان منها شهدا بالخيركان في عداد السعدا

إذا أثلجت «بوارق النفس « بسنة المصطفى فإنها تلجأ الى دارالسيرة حيث يقول:

يحضرمبتها الامين مانعا عنه الشياطين فكن لي سامعا

ويبشرعبادها بدخول الجنة :

ويدخل الجنة من غيرحساب سبعون في سبعون الفا باستيعاب

يلحقها ثواب فعل الخير زيادة في فضلها و الخير .

- <u>الحكمة المصدوقة اختيار الصديق</u>

يتباهي الفرد بأصوله إذا كانت حقيقية «تمت للأصل بشبه فتيلة» ،فهويكون قد أصاب الصدق،هذاالذي يربط الأواصرمع

الوالدين وينشئ منابع التوادد الجلي بين الناس،يكون ‹الصادق المصدوق›عند الشيخ سي اعطية هوذلك الفرد المتمسك بدينه المتيع لسنه (صلعم) بنفسه كامل الأخلاق والمعلم ثابت الوعد في قوله المبارك :

شروط الصديق ان يكون دينا صاحب سنة تقيا صينا

زكي عقل كامل الاخلاق سليم صدرثابت

تعتمد شروط الصداقة عند «الشيخ سي اعطية قدس الله سره «على الدين والتقوى ورحابة العقل وكرم الاخلاق والوفاء بالعهود،فإذا ما إختارالإنسان فضيلة من هذه الصفات، فهومقبل على إختيارصديق يكون له سندا وعونا في الحياة، عندما نقول العون والمساندة في الحياة هي أن يصادق المرأ لذاته إنسانا بنفس زكية تؤزره وتزيح عنه شجون الحياة مصاعبها، فهوقد يلهمه بالإنصراف عن ماهومسيء لذاته ودنياه، وحتى حياته هكذا كان السلف يوقنون في صداقتهم ولايخافون أن تصيبهم مصائب لأنهم تزهدوا لها كما كونواصداقات تقيهم سلوك الأراء غيرالمستقيمة والأخطاء الوخيمة ،ذلك كان» الشيخ سي اعطية قدس الله سره «أسبق من الجميع لوضع ثوابت صديق متأمل متدين كريم الأخلاق وفي للمواثيق والمواعيد .

- الحكمة الشافية:

يتقدم الإنسان بسريرته الطيبة ونفسه الزكية بعلاقته مع ربه» يحوزعلي راحة نفسية» تزيده إيماناوسعادة،يحس عندئذ الفرد أنه طائر فوق البشر(الطيرالصوفي)،أفظلهم أجمعين، ذلك هوالإحساس الصوفي الخالص ،عندما يزهد في الدنيا طالبا مرضاة ربه عابدا منتفعا،مما جادت به الدنيا عليه،وأذكرأني سمعت شيخا وربما ناصراصالحا كاملا بالثبات ناصبا بالحقوق، بنى أربعة مساجد لم يشأ أن يذكراسمه ولما علا المؤذن،بكي وإبتسم»ذلك هوالإحساس الشافي الذي قل مايحس به إنسان، ولم يصعب» الشيخ اعطية مسعودي عليه شايب الرحمة» علي الراغبين في الوصول الي هذاالاحساس النزيه حاثا إياهم الى نبذ الأحوال المحرمة مما يجعلهم يشعرون بالراحة الدائمة يقول عليه الرحمة :

من أكل الحرام جف قلبه من كل خيرويخاف سلبه .

- الحكمة النادرة:

أبدع «الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره» من صناعة الشعرحيث سجل قصيدته «سلام علي الشيخ»كان صوته فيها جلجلة بغية التقرب الى الولي الصالح عبد القادربن مصطفي ملوحا إياها عموديا في منبت كل لقطة لفضها في جواهره الدرية .

فأعلم يا غارقا في ينبوع العلم حين بدأ

علا فوق هام الفرق بين جلالة *** وأشرق بدرا نوره يتلألأ

كان الشيخ عبد القادربن مصطفي ورعا متواضعا خدوما لطلبة العلم اشراقه دائم الروضة مضئ بالنورد معطر بالريحان تسكب بين جوانبه النصح بذكر الله .

بخدمة مولاه استنار طريقه *** فمن يقتفيه لا يخاف ضلالا

أجزم الشيخ عطية قدس الله سره أن خادم العلم والعلماء فقيه أعطي ما أعطي صفات من الأنبياءوطريقته مبعدة عن ضلال

ـ مهيجة بالحسد من صنع ضعاف النفوس

دعا الخلق لنهج قويم محذرا *** لهو أمنيات تجر إختلالا

يصرف عنهم بعلمه «متاهات الدنيا» ، حيث روى نجل الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره المفدى الأستاذ «يحي شهادة في الشيخ سي عبد القادربن مصطفي « حيث نصها (تواضع) يجعل منه خادما لطلابه وزواره ويقدم لهم الطعام بنفسه ويسأل عن هؤلاء الطلبة إن كان أحدهم لم يتناول طعامه، يذهب من منزله مبكرا ليصطحب معه براميل الماء ليكون ساخنا ومهيأ قبل الفجر في الحمام المجاور للمسجد وبعد أن يؤذن الفجر يقوم بنفسه ليصلي إماما بالناس».

أمين على الشرع الشريف وحافظ *** لسنة من فاق الأنام خلالا

ومن لم يقم باتباع مناقب الشيخ، ضيع من على طريقه نواصع ماعاد ليصادفها أبدا، خاصة لما تكون من طرف خادم علم .

له شهد الأعدا بباهر شره ونادت الصحارى باسمه وتلألأ

كيف لا يشهد عليه الناس هو خادم المدارس القرأنية ، ثمن الشيخ أسراره وأقر بفقهه و علمه:

قوي علي حفظ الجوارح باسل *** فلم يأ إلا واجبا وحلالا

إن من أشهر دواعب «الشيخ عبد القادربن مصطفي «هو تحليه بخاصية السيطرة علي جوارحه وهاته من أعظم النعم ،ولهذا ابرع الشيخ في(تتويج ذروة القوة عند الشيخ الرباني عبدالقادربن مصطفى)

اذا قيل هل في الناس من مثله فقل واكد بإيمان مقالك : لا لا

ويجيب «الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره «بالأدلة قارئا و قارعا بسلوك هذا الخادم الأمين لشرع الله .

دليل هدى للسالكين سبيله فكم صار بدرا من اتاه هلالا

يجلي مواهبه وصوانع العجب من سلوكاته الإيمانية، جعل الشيخ سي أعطية يصفة بدليل الهدى ويزيد فيه من قول حسن...

رؤوف رحيم صابر متحمل ومنهلة للواردين زلالا

تتفجر من براثن مدراسته بين حلقات العلم والذكرفتاوى بليغة ومعارف نابغة و طاعات منبجسة من الشرع ومحاسن رفيعة .

يقرئه « الشيخ سي عطية قدس الله سره « سلامه للعلماء الاجلاء

سلام على الشيخ الجليل وحزبه *** وأولاده و المحسن فعلا

يروح ويغد وبكرة وعشية *** ورضوان ربي يرتديه ضلالا

دوائي دعاء منه في حالة الصفا*** يزيل عن الجسم العليل إعتلالا

يوافي كما المزن في شدة الضمأ*** فيوقظ روحي من سبات توالى

- الحكم القصيرة :

أ – طلب العلم

يأخذ»الشيخ سي اعطية مسعودي قدس الله سره» من شطرالحياة صنوان العلم فاتحا بين حواشيه متون الكلم الكثيرة التي يضرب بها ما شاء الله في الأرض ، فإن هي أصابت إنفرجت خبايا وطرائق للخلق أعطاها مولانا تعالى من نعيم أفضاله، العلم على

معارفه دكة الله في الخلق ماخلق ليجابه البشربعقولهم أطوارالحياة ،يجدون ماخبأ ولاأظن مااستعصى من العلم الاما أغاره ربنا في كونه وعجزت عنه عولمنا في البحث المستمر،ولهذا أتخيل منظرا تلك المرصعات بالنجوم وهن يشعن بالأنوارعلى «أدمة القاع في بحر المحيطات «،يشبه أنوارالعلم المتلألأة في كل مكان ، فنورها يغطي كل عتمة وظلمة فلكرامة الشيخ سي اعطية هي نصف العلم يوصف لايعيه الا عاقل متبصرا من أصحاب الحقوق المحفوفة بالبصيرة النافذة قال عليه شايب الرحمة :

العلم نور من اصابه اهتدى *** به واجلى عن حجاه الغيهبا

ولاأزيدالا من قبس التشبه، لك أن تتخيل يرحمك الله غرفة مظلمة جئتها تضع خرما فحرقة نور يضيء شطرما حفرت، لكنه يزيح جزء من عتمة قيمية ، ذلك هو الشأن في تحصيل العلوم (العلم مهلكة للظلمة)

ب طلب العلا :

تحضرني عند قراءة هذا البيت :

وكل نفس تشرئب للعلا *** لكن عزيزا من يديم الطلبا

نظرية سلم ماسلو للحاجات الذي طوره تايلور(13) واضاف لها فايول قرينة « الحاجة الى الاحترام « «فالشيخ سي اعطية قدس الله سره « بشرحه لهذا المبدأ « حب العلا « انما أوجب بديلا عكس ماوضعه فقهاء الإداري .

ان بلوغ المراتب في التراتيب الصوفية ليست أملا جامعا يرتقب منه حاجات مادية متنوعة ، بل هو مجاهدة فردية تسمو بالبشرى القاهر لنفسه و لملذات الدنيا الى مراتب اليقين والتسقيط في صورة الحق .

ولهذافان منطق التسامي يكون بشرط ان يتصف بالعزة ومداومة الطلب ويحضرني في ذلك بيت شعري (رزق قائله)

لا ينال العلا الا فتى شرفت *** خلاله فاطاع الدهر ما أمر

ب-اختيار الصحبة :

عندما يسمع المؤمن أذان اليقضة، محفزا إياه بالقدوم الى الصلاة والفلاح،فهويستشعرذاته بأن هناك»صوت أجل من عظيم،جبار» يناديه للغنيمة عندما تحدث الإجابة تكون رائعة، خصوصا لما يتحقق الرضا اليقيني،بإجابةالداعي يعتبرذلك الوازع شي روحاي مثدس له علاقة بالشعور الصوفي الخالص خاصة لما يردد المنادي « أن الصلاة خيرمن النوم « ليت المتكاسل الساهي يعي ويبصروينظر في ظلمه ذاته لعله يضاء له،وينقره نوراليقضة «الشيخ سي اعطية قدس الله سره» قدم المثل برمته «شارحا ومفسرا» بأن صحبة «الكسول»هي مقود أفاك يرمي بالصاحب الى نفس دحرجة الكسل،ويستبدل الشيخ «الورع» بصحبة التقي الذي لم تنجبه الأم، لذلك سماه أخا وهو التقي المحبوب

أذكرغيري بالصلاح اجبته على الخيركي ينجو غدا وافرط

تذكير بالصلاح النجاة

ذكر بالخير ينجو

إن وعظ المؤمن لغيره،»مزية وخلق جليل»،خصوصا عندما يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ،وعرف عن الشيخ كثرة التاثر «بسنة المصطفى»، دأبه أن يضل بنيان المجتمع محكم المجامع ،لا به شائبةوقد إعتبر أن ميزتي

«التذكيروالصلاح بالخير»هما نجاة المؤمن من عبودية الملذات النفسية الجامحة التي تؤثرعلى النفس الزكية تأثيرالاينجو منه (الا بتبعاتها) من قطرات الخيروالصلاة.

يبدع الشيخ عطية مسعودي في أصل الأشياء بتطبيق المحتوى مع الشكل،وهو مايعرف بالاصل في الشي وعنده الأصل لا يوازنه سوى أصل منه، غيرمستنسخ فكل ما ندرمن عمل « نادر» يعرفه من يحمله «فكرة « فاصل العمل النادرالذي يرتضيه البشرى لنفسه ، يجب انيحمل أخلاق اسلامية .

فانما التقليد يرضى به البليد .

ج-حكمة طلب المعالي

يقول الشيخ سي اعطية:

وسامرالليالي - ترق الى المعالي

لاينال الانسان نتيجة ملموسة(تدركها الجوارح)،الكد مثلا مع السهرصفتان يحتاجهما طالب العلم، والشيخ سي اعطية قدس الله سره «أجاد الوصف «ورمى المعالي بالرقي فلا يرقى كسول ،أومتسلل، بل زاهد أوعالم سهرالليالي، ينهل من رضاب العلوم متلهف لها كما وكيفا،حتى إذا نال العلاوعرف أن سهرالليالي لمطالعة المخطوطات والمتب هوالذي أوصله الى رتبة الدعوة العلمية والمعرفية ، ونوال النورانية التي تصبغ روحه وجسده حتى أنها تطفئ لهب جهنم فقد ورد في الحديث « ان جهنم تقول للمؤمن : جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»(14)

د-حكمة القرض الحسن

لوبقي الإنسان وقتا طويلا منفصلا بالتفكيرعن عالم الدنيا يتمعن في شيءواحد هو»حكمية القرض»،عندما يقترض الإنسان قرضا ليداوي ذاته أويكف به نشرالاذى، فإن دوام العبادات بالشكروالطاعات هي أحسن وأبرك «القروض» التي يطلب العبد مقايضتها .

عند قوله :

خذ خيرزاد للمعاد واقرض الله الكريم تجده مجزل قرضه

هـ- حكمة عدم الاغترار

عندما يتمعن القارئ قول الرسول «صلعم «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل، يلاحظ أن «حكمية التكليف» بين الفئات الثلاث دون شك سيحسبها في أمرواحد(هو الوعي باليقين والإدراك) أي البلوغ العقلي وليس الفني كالذي كلخ الزمن شماريخ أيامه وسنواته ،وغشيه الشيب، إن الشيخ سي عطية قدس الله سره تجلى العلم من عوارفه المدركة من نمتها تجارب السنوات وهاهو يفصح :

ولا يغرنك علم من فتى ابدا ولوحوى كل ما قد خط بالقلم

حتى تراه غريقا في هدايته ودينه وتقاه راسخ القدم

إن أخذ العلم على غيرمصنفة من فتى، لم تدكه تجارب الحياةاوامام متحدث لم يبلغ سن الرجح ولم تتقادم هدايته وتقواه

دون محالة سيكثرفي بهرجه وتتماوج على حجه ندبات طالعة من زمنه ، فأخلاق الهدايا والتقوى تجعله يقربانه «علم شيء وغابت عنه أشياء» .

و -حكمة زخرف القول

محطة يكون «الشيخ سي اعطية قدس الله سره « قد توقف عندها متكلما ناصحا،كلامه «كله» نصح لذوي البصيرة،هاله أمرالمتكلمين عن الأخرين، «تحسبون حفظ النصوص دون تبصرشرحة عالم أو خوصرة معرفة»،وماهي الا كمن يقتات من السلف يحسبه كروما لايهنأ حين يقدم في حضرته عالم ناسك متواضع يدلي بعنقود الزيتون الآهل من به زوائل العلل ما تقدم وتأخرمن أخبارالملل شارحا بالأيات وبنترات العقل ...اذا تكلم من لايفهمه وإرتحل ، ففيضان السبل لديه تختزل مسائل جمة من فرط العجل يكونا لناس هم على عجل لهذا كان «الشيخ سي اعطية قدس الله سره «يحثهم علىإتباع (لبادةالعقل) والتدبروالتريث في إصدارالاحكام،خيرمن العمل بقول مزخرف ورد عن العرب والعجم لأن إتباع حلة مزركشة مآلها كذلك المفهوم بالقشورمفضيا الى الندم « وحسبه قوله

ولا يهولنك اقوال مزخرفة فزخرف القول قد يفضي الى الند

- الحياة الحكيمة :

جعل الشيخ سي اعطية قدس الله سره من الاسلوب الخطابي منهجا قيميا في الحياة , مصورا إياه للأخرين مبسطا في الإستفادة من لبابه، ومن ممارسته، تجزولت على مقاريض العلوم المنتمية الى مدافن المعرفة»صغارهاوكبارها»،يرتحل من بلدالى أخر,يظهرلنا(صولة رجل إعلام) متمهن بالأسلوب الفياض المدجج بالحجج والبيان يقحم به القلب فينقيه من دنس التوحش ، فلننظر مما إستعمله في الأخبار المروى المعروف عند أهل اللسان ، بالأسلوب الخبري مارای وما إستوحش في هذه اللطائف التي مرت على بضع من حياته أسكبها للسائلين منظرا ما عساه بفنون لها فضل الا بما جزم التوقف بالله مناشدا : يا ربنا ألطف

ورد في هذا العصرالذي عايشه الشيخ ولازال يستمر كثير من العجائب المتعددة التي تربك كل من أراد وصفها،لأنه عصركثرت أهواله وعندما يعظم شيخ نحرير أهوال الدهر، فتلك هي كبائر الأمور التي تتطلب اليقضة و الحذر من مجاهرة الشياطين للمتحصنين باليات الفتك والخروج عن الحدود ووصف مالايوصف من فعال الناس بين أوساطهم داسين مجموع الفتن العاصية المقرضة ،تتكاثر بين جوانبها بتكاثر بناتهاولا من مستيقظ ، ماقرأناه في السابق من أخبار الأقليين وأسباب إنقراضهم بات في الحول من صفات الأكلين لأيامهم تعتريهم أوصاف دميمة, كانهم يأجوج الى النصب يفدون.

مصائبهم كسيل العرم، هكذا أثقل صدر» الشيخ سي اعطية قدس الله سره «لم يجد الا أن يتلطف من رب العالمين سائلا إياه أن يدفع سيل المعاصي والهموم القواسي وهو « الرجاء « وياله من رجاء عندما نترجى المولى أن يذهب رياح الفتن من خسارة أوغبن :

يقرويصف ماتفعله الأهوال، خرجوا عن حافة الطريق متفرقين لا ألفة بينهم ولا إتحاد أصبحت العهود في خبركان، وكأنها لم تضرب ولم تشهد المواثيق ووهنت خطب الأوابين فلا من مذكرولا مدخر، للخلق خليق حيث لامرد لقضاء الله سوى بالرجاء إليه

طلبا من فضله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى حتى للعاق لعله يستخيرأويعود الى ربه الرجعى لقد عانوا في الارض تقطعا وتمزقا

فاهله عن الصراط حادو لا ألف بينهم ولا إتحاد

وإنتشر الفساد والإلحاد والظلم عم الارض والفساد

والناس مما اكتسبوا في جحيم تنابزو بأسلوب الألقاب

من فسق أو تضليل أو أسباب وأهملوا وصية الكتاب

وسنة المطهر الأواب طيب كل من فؤاده سقيم

- حكم الحياة:

من ورع «الشيخ سي اعطية قدس الله سره « تسنت له بصيرة النصح للأمة وقد راى أن أول النصح يكون للشباب كما أوضحه الشيخين الجليلين «بلعبيدي والرابحي» في مراسلتهما للامام الشيخ قدس الله سره وسنأخذ من منظومة الموزون نصائح وقادة لشباب المجتمع المعاصر هي كالسواعد مبنية وللخذل مرجعة .

1- طلب العلم :

لا يشرف تحصيل العلم الا من تعمق في أسباب الظواهروالقواهروفتح باب التمحيص وصرف نفسه عن الجدل بإتباع ‹الحكمة والموعظة الحسنة ›.

2-طلب النصر :

ان نصرة المؤمن لاخيه تشكل منطلق إيمان متجدد لطالب العلم وإحتفاء بالسلف الذين كانوا يتبعون الشيوخ ويتواضعون بالنصرمتيسرا الاإذا خاصه تواضع وإذلال وطاعة .

فانما النصر حليف الطاعة *** والذل والخذلان في الاضاعة.

3-اخذ العبرة :

عندما ينجح الإنسان عليه أن يتذكر النعم التي منحه إياها المولى تعالي، سيجد دون شك أن لديه خطوة نجاح أعقبتها خطوة إن لم نقل خطوات نجاح تكون بمثابة محفز يؤدي به الي بذل المزيد من الجهود ليحقق غرض البناء بذلك الشيء الذي حقق ملكيته، وينصح الشيخ سي اعطية قدس الله سره الشباب بالنظرللماضي لأخذ العبرمن السلف بتحقيق مجهود يواكب النفس

فأنظرالي الأصحاب كيف كانوا*** في الضعف لامال ولا مكان

وحولهم يسوقوا أهل الكفر *** مسلولة بقوة ووفر

قد أحدقت من كل جانب بهم *** والخوف رابض علي أبوابهم

4/ توخي الذكر:

ان تلاوة الاذكار،صباحيةومسائية،ينظف سدالأمة من غفلة النسيان وينطلق الشيخ عطيةمسعودي قدس الله سره بالدعوة الى عمارة المساجد إحتسابا لقوله تعالي» وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» سورة الجن/18 والإكثارمن الذكر وهوزاد للمؤمن الراغب في لقاء مولاه على صورة صوفية حسنة .

- تحصيل العلم الشريف:

ينصرف الشيخ عطية مسعودي قدس الله سره إلي مخازن العلم الكثيرةلأنه يري أن العلوم الشريفة هي أصل الشفاء من كل بلاء تحصل للإنسان في السروالعلن،لذلك هي مربحة صافية،لأنهاتجمع بين ماينظرإليه العقل ويتناسب مع الروح وماجمعه في المناهج من فصول العلوم الكثيرة،صولاوجولا يروق ويراق لها لأنهاتهدي الروح إلي جادة الصواب، ينال بهاطالب العزوالسيادة والسعادة ،وهذالايكتمل نصابه إلا بملازمة العلماء والتفرغ ، لكونها هي مفتاح الباب أي من وراء العلم من معارف مكشوفة وراءها مايعينه العقل مؤقتاويأمرهم بأخذالتفاصيل من العلوم وينصحهم بالإستغناء عن المكدرات من القشورالضافية حيث لايأسف الإنسان لعزلها أبدا يدعمنا قوله :

فأصبرولازمه بانكباب فبالملازمة فتح الباب

خذ اللباب وأترك السفاسف ولاتكن عن فوتها بأسف.

6-نصيحة حفظ القرآن وتدبر آياته:

أجمل ما في مأثور «الشيخ عطية مسعوي قدس الله سره» نصحه الدائم لحفظ الكتاب فهو العمدة والجوازولحافظه النصرة إذا حمل عقله بأحاديث المصطفي:

وأحفظ كتاب الله فهو العمدة وجعل من الحديث خيرعدة

7-نصيحة التحلي بالأخلاق :

يستعمل «الشيخ اعطية مسعودي قدس الله سره» مفهومي الكساء والغطاء للتعبيرعن عموم الشيء ،والأخلاق هي غطاءعام مثله مثل البرنوس يغطي جسم الإنسان من رأسه إلي أخمس قدميه ،لذلك ينصح الشيخ بلبس الأخلاق ، لأنها ذات حلة قشيبة تميزشباب الأمة ولهذا إذاماتم نزعها فإن خيرات كثيرة تذهب معها .

ولبس من الأخلاق خيرحلة *** فإنها من أدبات الملة

من فاته الخلق الكريم فاته *** كل كمال وقل حياته .

8-نصيحة تدارك الصغر:

عمرأمة محمد «قصير «في العدد متناهي في «القصر»ما بين(الستون والسبعون) وماعداها قليل يخطف الإنسان «جوهرحركته في شبابه ليتعلم ويغنم من فضائل الرحمان، وكان هذاالتدبردأب الشيوخ والأولياء والناصحين،بأن يسارع «الناس» إلي تقديم ما يدخلهم في طاعة الخالق و»الشيخ سي اعطية قدس الله سره» واحد من سلالات شيوخ الفقه من إبتغوا» قضم سنوات الشباب»في تنفيذ المنجيات ومنها التعلم في الصغرفي هذه المرحلة يدرك معارج وأسرار العلوم حتي ولوطال عمره

من فاته التعليم في حال الصبي كانت حياته وإن طالت هبى

9-نصيحة التحلي بالرزانة :

ميزت رزانة الإحتكام إلى الرأي الناصح المتحكم للعقل، وفقا للسنة النبوية ،ماتركه السلف الصالح في «البوائق المثيرة»ظل الشيطان الرجيم يحركها للعبث بسيرالناس،لهذاتصدوا لهابكريم الخلق وبالترزين المهيب للرأي السديد والتهليك لصورة

المتشبث بالرأي المعجب به خارج عن المشورة، ولهذا قال الشيخ منذرا :

من راح معجبا برأيه هلك *** ومن يشاور في أموره ملك

من كان ذا عجل وطيش *** غدا معاينا مرير العيش

من صفاء حكمة تأني *** نال –بعز- كل ما تمنى

10- نصيحة الصدق :

سمي»صديقا»لأنه كان راعيا للوعد وحافظا للسر»كحذيفة إبن اليمان»مجبولابالفطرة علي صفة الصدق،فأثرورسم سيرته بالصدق صديقا ورفيقا للرسول (صلعم) مهما كان أبوبكر فهو درجة سامية تشع منها «أنوارالصديقية»من قبل معلم الأمة محمد «صلعم» لذا أوصي الشيخ سي عطية قدس الله سره معشرالشباب بالصدق والايمان .

كن صادقا في القول والأعمال - وصحح الإيمان رأس المال

فالإيمان عند الشيخ راحة متجلية في طمأنينة مثالية .

11-نصيحة الحركة :

لاينجزالإنسان في حياته سرا لا يلهمه» طعم الحياة» بل عليه أن ينطلق نشيطا يبتغي المعالي بما تزود به من مكارم الأخلاق فيصبح كثيرالمعارف

كن نشيطا ذا همة شجاعا *** إلي العلي كإبن جلي إطلاعا

12-نصيحة النفع:

يرتقي المرء إلي درجات العلي، ينقله اللسان إذ ما سعي بعدما يعلم أن «الي ربه الرجعى، في السعي إلي الخيررفعه «درجة» وتسامى به إلي الطهر، إن كان كذلك وإلي معلم «مترفع»عن مايهبط من قدره غيرظالم ولامؤذي ،أمين «وفي» بالوعدوحافظ بلسانه من كل سوء قد يظلم به الناس ،غيرمضارب لسبب

الخاتمة:

هندس الشيخ سي اعطية مسعودي مجموعة من الركائز المتينة الفقهية والفتاوي على الطريقة المالكية لازال يعتد بها في كثيرمن زوايا ادارا وحتى في الجلفة، ولم يتسع المجال لعرضها لمحدودية المداخلة وان سمحت الظروف سوف نطلع عنها الراي العام في كتاب سينشرلاحقا حولها.

ان هذا الرجل الذي قال فيه الشيوخ امثال الشيخ العلامة «متولي الشعراوي «أنه أصل العلم ونتمنى أن يكون موسوعة معارف الشيخ المبجل سي عطية أشهد الامام الراحل إلى ربه العلامة وموفد الأمة ومحسون المكانة في ربوع الجزائرالحبيبة الإمام العلامة محمد الغزالي بعلمه وطلب من طلاب الفتوى الذهاب إلى الشيخ سي عطية والإستماع إليه وقال قولته المشهورة «حاجتكم عنده» بمناجاة قال فيه سيدي محمد بلكبيرقدس الله سره العالم العارف بربه أعجوزة الزمان وعينه دامعة «لقد مات ملك الزمان والعلم والتقي والورع وخاتمة الصوفية الشيخ سي عطية» وإستشهد به الشيخ العالم بمأثورالحفص في كتابه عن فتاوى الشيخ ولا ينتهي القول الاونحن نلتفت الى مراسلاته مع مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك بن محمد الميلي صاحب التواريخ

أعزالله به الجزائر، فكان يلقبه بالأديب، كماأن العالم الجليل محمدالباي بلعالم رحمه الله كان يدرس لطلابه في زاويته العامرة «باولف» المسائل الفقهية الواردة في مخطوط للشيخ سي عطية مسعودي.

فكيف لا يخضع هذا الرجل الذي شهد له علماء الارض وهو شيخ انهكته الضنون وقلل الحاقدون من علمه ان يكون ثمرة ملتقى دولي حول اسهامات الفقهية في بلورة مسالة الاعتناق السليم للعقيدة السمحاء..

هوامش المداخلة .

01-ابو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ديوان المطبوعات الجامعية،1986.ص20

02-الحاج مصطفى بن توهامي،سيرة الامير عبدالقادروجهاد، دار الغرب الاسلامي، ص152.

03-محمد رفاعة الطهطاوي، الابريز في اخبار باريز.

04-ابو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي ..مرجع سابق ص 123

05-عبدالله مسعودي حفيد الامام سي اعطية، تصحيح السيرة سلمها بالشكل الذي هي عليه بعد 20 يوم من المراجعة.

06-زهار كمال ، موقع الجلفة انفو يوم 17/04/2009 المعلومات تناقلتها الكثير من المواقع، ولا يمكن الجزم بملكيتها لاحد، صححها المفذى حفيد الشيخ سي اعطية الاستاذ عبدالله مسعودي بتاريخ شهر اكتوبر 2012.

07- الاية رقم سورة

08-شون ماك براید،اصوات متعددة وعالم واحد،sned سنة 1986 ص 145

08-الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا اراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا، الحديث مذكور

09-الشاعر بن يعقوب هو الشيخ شواط شاعر شعبي ومجاهد من مدينة السوقر توفي سنة 1994. مسجل لدينا في شريط كاسيت وعلى كاميرا ماثورات شعرية صوفية رائعة

10- من قول الجلاء،التفاتة في الاحياء،وقد ذكر في شرح الخريدة لابن صفا.

11-العاقبة في الحكم هي ارتداء البصيرة في الكشف عن الصحيح الظاهر، فقد يحدث وان ترى سلئحا اوزاهدا ملطخا بكثير من الاوساخ حتى تضنه سيموت اوتلتهب اعضاؤه وهو يرى نفسه ببصيرته صحيحا معافى

12-انظر محمود عجاج الخطيب ، الاعلام الاسلامي ص 66

13-المردوم، الحنق بالتهيج لاصل المعرفة فينمحي الطلسم المظلم عن كنهها فيظهر لاصحاب الشهود كانه الحق في اسمى معاتيه وهي درجة اولى له ولا مجاللبوغ ما اسمى منه.

14- حمام محمد زهير، لاتاخذوا العلم من صحفي، دار الاوراسية سنة 2003، ص63

15-نصيحة المستوى العالي، هي درجة عالية ترتبط بالاقرار بالربوبية حدا فاصلا.

16-حكيم اوشاطر، الاسطورة الشعبية ، رسالة ماجستير معهد الثقافات الشعبية غير منشورة سنة 2005.

17- سورة المجادلة الاية 11

18-غبدالوهاب الشعراني، لطائف المنن، دار البعث1966 ص222

19-تقنيات التعبير الشفوي، ماكيرز..لادولواز.باريس

20-جزيامؤمن فقد اطفا نورك لهي الحديث مذكور..